

الاستقما لأخبار دول المغرب الأقصى

@ 150 @ ونهض إلى الأندلس في مائة ألف من العرب والموحدين واستخلف على مراكش أخاه

السيد أبا عمران فاحتل بقرطبة سنة سبع وستين وخمسائة ثم ارتحل بعدها إلى إشبيلية ولقيه السيد أبو حفص هنالك منصرفا من بعض غزواته .

ولما نزل أمير المؤمنين يوسف بإشبيلية خافه محمد بن مردنيش وحمل على قلبه فمرض ومات وقيل إن أمه سمتة لأنه كان قد أساء إلى خواصه وكبراء دولته فنصحته فتهددها وخافت بطشه فسمته ولما مات محمد بن مردنيش جاء أولاده وإخوته إلى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو بإشبيلية فسلموا إليه جميع بلاد شرق الأندلس التي كانت لأبيهم فأحسن إليهم أمير المؤمنين وتزوج أختهم وأصبحوا عنده في أعز منزلة وصنع في وليمتها مهرجانا عظيما يقصر الوصف عنه .

ولما صفت لأمر المؤمنين يوسف الأندلس خرج من إشبيلية غازيا بلاد العدو فنزل على مدينة له تسمى وبذة فأقام محاصرا لها شهورا إلى أن اشتد عليهم الحصار وعطشوا فراسلوه في تسليم المدينة وأن يعطيهم الأمان على نفوسهم فامتنع من ذلك فلما اشتد بهم العطش سمع لهم في بعض الليالي لغط عظيم وأصوات هائلة وذلك أنهم اجتمعوا بأسرهم ودعوا إلى تعالى فجاءهم مطر عظيم ملأ ما كان عندهم من الصهاريج فارتووا وتقووا على المسلمين فانصرف عنهم إلى إشبيلية بعد أن هادنهم مدة سبع سنين .

فليعتبر الواقف على هذه القضية وليعلم أن هؤلاء الكفار جاحدون ينسبون إلى تعالى ما لا يليق به من التثليث وأنواع الكفر ومع ذلك لما انقطع رجائهم ورجعوا إليه تعالى بالاضطرار الصادق رحمهم سبحانه وهو أرحم الراحمين فلا ينبغي بعد هذا للمؤمن الموحد إذا حصل في شدة أن ييأس من رحمة تعالى فإنه ! ! والسر في الاضطراب فإنه عند أرباب البصائر هو اسم تعالى الأعظم الذي